الفصاحة وكتّاب العصر

مما ينطق اللسان بالثناء على هذا العصر كثرة الكتّاب فيهِ ونشر الكتب والرسائل من قديمة وجديدة وتعدُّد الصحف المبثة بالجوائب[1] والمجلّات الحافلة بالمقالات العلمية والادبية المرصّعة من الفوائد بما يشقّ على كثير الوصول اليهِ

فهي ولا نزاع سلّم الارتقاء العقلي والادبي والصناعي والزراعي والسياسي . فالحق بأهل العصر ان يشكروا لاولئك الكتبة صنيعهم واجدر بمن لهُ يد في علم ما ان يحاثهم على تجويد العمل واحكام العبارة وان يزيل من طريقهم كل عاثور[2] . واجدر باهل السعة وبسطة المال ان ينشطوهم بالبذل . ألا وانهُ لا أمل لنا في الترقي الى قمّة الفلاح إلاّ بالمضافرة على القيام بخدمة العلم وتهذيب النفس والاقبال على بضائع الأدب

اما بعد فاذ كنت ممن تشرفوا بخدمة العربية رأيت فرضاً عليَّ ان امدَّ كتّاب العصر بالتنبيه على ما اعثر عليهِ في جرائدهم من الاوهام معتقداً ان بعضهُ من آثار السهو وبعضهُ من آثار العجلة لكني اصرف القلم عن الاشارة الى الوهم اوالى جريدتهِ حتى لا يمسَّ قلبهُ غيظ ولا تلصق بسيتهِ غضاضة فاني لم اندفع الى هذا الصنيع الاّ حبّ المحافظة على الفصاحة العربية وسلامة هذه المنشورات العصرية من الركاكة والهجنة . ولو لم تكن هذه مما يتكرّر ورودها على الناطقين بالضاد ويخشى ان يذهب ما فيها من الاوهام على ناشئة الادب ما كلفت نفسي النهوض بهذه المهمة وعندي من الشواغل التأليفية ما يضيق عنهُ زمني فغاية المأمول ان تحصل الفائدة ويعدل الكتّاب عما يبدو على انهُ مخلّ بالفصاحة العربية . ولا يقم في وهم احد اني أريد التضييق على الكتاب او تقييد اقلامهم بانغلال التعنّت كما اني لا اريد الاخذ بخناق اللغة بل حبل القصد المحض على رعاية احكامها واتباع قواعدها لتكون الجرائد فصيحة العبارة عربية الاسلوب واغراء لمن تحدثهُ النفس بالكتابة ان لا يكون كمن قيل فيهم

تسي الزمانُ فقد اتى بعجائبٍ ومحا فنونَ الفضل والآدابِ
وأتى بكتّابٍ لو انبسطت يدي فيهم رددتهمُ الى الكتّابِ

بل ان يكون كمن قال فيهِ ابن المعتز

إذا احدّ القرطاس خلتَ يمينهُ تفتّح نوراً او تنظّم جوهرا

(١) الاخبار المطبوعة (٢) كل ما عثر به وما أعدَّ من حجر ونحوها ليقع فيهِ احد

او كما قال فيه آخر

يؤلف اللؤلؤ المنثور منطقه وينظم الدرّ بالاقلام في الكتب

انواع الاوهام

إن الاوهام التي تعمّدتُ التنبيه عليها ثلاثة انواع احدها في المفردات والثاني في المركّبات والثالث في الاسلوب . على اني لا اتعرّض للتنبيه على ما هو من خطإ الطبع وان كان ذلك كثيراً في مطبوعاتنا لاسباب أقواها قلة الاجرة فقد اعتبرت الامر بنفسي فاني مع شدة انتباهي عند قراءة المسوّدات لم يسلم لي كتاب من اغلاط المطبعة كما لم يسلم منها كتاب لغيري وكذلك لا اتعرّض للشوائب الادبية ولا للمذاهب السياسية كتنزيل الكاتب نفسهُ منزلة الهادي او المشترع وهو لم يبلغ بعد من العلم وامتداد النظر ما يسوّغ لهُ ان يقول قول الهادي ولا ان يتكلم بصفة الاشتراع

ومثل تنزيل الكاتب نفسهُ منزلة الهادي الاصرار على الخطإ في مسئلة ما واستفراغ وسعه ليحمل الناس ان يستصوبوا خطأهُ . وان كان في التصدي لها من تصحيح الآراء وتمحيص الحقائق ما يكشف البواقع عن عيون كثير من اهل الغرور واصحاب المدارك القاصرة

طبقات الكتّاب

لا يخفى ان كتّاب العصر طبقات فالطبقة الاولى نفرٌ معدود وهم من البلاغة بحيث يليق بأن يحفظ كلامهم ويتّبع مناهجهم لأنهم نسجوا على منوال من تقدّم من البلغاء . وآية امتيازهم ظاهرة فن يطالع كتبهم وفصولهم يخالهم قد نشأوا بين العرب العرباء فترى المفردات كأنها لآلىء والجمل كأنها قلائد فهؤلاء يندر ان يرى في كلامهم مغمز من المغامز اللغوية اللهمّ الاّ ما يقع سهواً ولكن قد يتسلّط عليهم الوهم في الامور المعنوية او التقارير العلمية او السياسية او الاجتماعية وليس التصدّي لذلك من موضوع هذا الفصل على ما سبق الايماء اليه

ثم إن شوائب كلامهم لا يطلّع عليها الاّ العلماء المدققون والمحاربر المحقّقون وفي التنبيه عليها فائدة كبيرة

والطبقة الثانية تكاد تكون كالأولى في هذه الصفات واهلها وان كانوا اكثر من اهل تلك لكنهم قليل ايضاً . ولا يخشى على الاديب ولا المتأدب ان يفسد ذوقهُ العربي في مطالعة ما يكتبون بل ربما هدتهُ تلك المطالعة الى الاسلوب العربي الصريح . وان اعظم فارق بين

الطبقتين من حيث اللغة والمنهج هو ان الطبقة الاولى اغزر من الثانية مادّةً واشدّ التزاماً لسلوك جادّة البلاغة

والطبقة الثالثة طبقة من لم يحكم الصناعة ولم يألف نهج البلاغة واللغة معهُ كالطيّة الجوح مع الراكب الوهن واهل هذه الطبقة هم عامّة الكتّاب لا خاصّتهم وهم بالقياس الى الخاصة عددٌ غير قليل وارهاصهم واضحة لا يحتاج من ينبّه عليها الى جهد ذهن او كدّ فكر وآفة هؤلاء انهم لم يكثروا من حفظ الكلام القديم ولم يعكفوا على قراءة البليغ ومن المعلوم ان تأثير المطالعة في المطالع كتأثير الصورة في المرآة او الطعام في الذوق . فمن هذه الاوهام قولهم (قبّل به) بمعنى قبله مع انهُ قد نصّ في كتب اللغة على انّ قبل به قبالةً بمعنى كفل به وضمن

ومنها قولهم (المشين) ولم يُنقل اشانه وانما المنقول (شان يشينه) بمعنى عابه يُعيبه فاسم الفاعل (شائن) واسم المفعول (مَشين)

ومنها استعمالهم (المصان) بمعنى المصون ولم يُروَ في المعجمات اصانه وانما المروي ، صانهُ يصونهُ فهو مَصون

ومنها استعمالهم المساق بمعنى المسوق اي الحثوث على السير واما المساق فاسم مفعول من اساقه إيلاقاً اي اعطاهُ اياها ليسوقها

ومنها استعمالهم (المباع) بمعنى المبيع فيكثيرون الاشياء المباعة والصواب (المبيعة)

ومنها استعمالهم (الاكلاف) بمعنى الكلف التي هي جمع كلفة وهي ما تحمّلهُ من نفقة ومشقة

ومنها استعمالهم قفّل بمعنى اقفل فيقولون « هم يطلبون قفل هذا الباب » والصواب اقفال هذا الباب

ومنها قولهم شهيّة الطعام والصواب شهوة الطعام او شاهيتهُ قال في التاج والشاهية الشهوة وهي مصدر كالعافية » واما الشهيّة فهي تأنيث الشهي ومعناهُ اللذيذ فلا يصح استعمالها بمعنى الشهوة

ومنها قولهم « ادعمهُ على اساس متين » والصواب اقامهُ على اساس متين . على ان ادعم غير منقولة والمنقول دعمهُ من حدّ منع اذا اسندهُ عند ميله او لئلا يميل

ومنها قولهم « عصاري اليوم » والصواب « عصر اليوم »

ومنها قولهم « ادمن على الشيء » والصواب « مدمن الشيء » يقال : رجل مدمن الخمر اي مداوم شربها

ومنها استعمالهم اسم المعرف بأل مفرداً نعتاً للجميع كما في قولهم « اما في المدارس الأعلى فلا لوم » وكتب العربية تنص على ان اسم التفضيل المقرون بأل يثنى ويجمع ويؤنث فيجب ان يقال واما في المدارس العليا

ومنها قولهم « القهاوي » مكان القهوات التي هي جمع القهوة ولا ادري من اين اتوا بهذه الصيغة الغريبة

ومنها استعمالهم « الوسط والمحيط » عوض المكان او البلد او الوطن او الاقليم

ومنها استعمالهم الاود بمعنى المعيشة فيقولون زيد يقوم باود عمرو اي ينفق عليه والاود في اللغة الاعوجاج فيقال فلان يقوّم الاود اي يزيل الاعوجاج

ومنها استعمالهم احتاج متعدياً بنفسه مع انهُ قاصر يتعدى بكلمة (الى) فيقولون « احتاجه » مكان احتاج اليه

ومنها استعمال افاض متعديا بالباء كقولهم افاضت به على البلاد من النعم والصواب افاضت على البلاد من النعم

ومنها استعمال البنود بمعنى المواد او الشروط فيقولون بنود العهدة والصواب مواد العهدة

ومنها استعمال « قائم مقام » كالاسم المفرد المصرف فيقولون نُصب فلانٌ قائم مقاماً ومن ثمّ فيجمعونه جمع السلامة فيقولون قائم مقامون وهو مناف لعلم الصرف والصواب قوّام المقامات

ومنها استعمالهم (اقتبلهُ) بمعنى قبله والمنقول عن اهل اللسان ان اقتبل الامر بمعنى استأنفهُ والخطبة ارتجلها واقتبل الرجل : كاس بعد حماقة

ومنها استعمالهم اعتجب بمعنى تعجب ولم يروها لغوي فيما علمت

ومنها استعمالهم ابرع السبع بمعنى انهل ولم نقف على ذلك فيما لدينا من كتب اللغة

ومنها استعمالهم القفر بمعنى القفار ولم ينقل في امثار اهل اللسان ولعلّ من استعملهُ يحتج بانهُ مقصور القفار ولكن قصر الالفاظ اذا جاز في مضايق الكتابة لا غير

ومنها المصادقة على الحجج والصكوك والذي في كتب اللغة « صادقهُ : كان صديقاً لهُ وصادق فلاناً المودّة والنصيحة اخلصها لهُ فالصواب ان يقال تصديق الحجج والصكوك او اجازتها او اصحاحها من اصحّهُ اذا وجدهُ صحيحاً

ومنها استعمالهم السلفاء مكان الاسلاف فيقولون وهو الذي ورث ذلك عن سلفائه والصواب عن اسلافه

ومنها استعمالهم الدثار والمنقول في كتب اللغة الدثور ولا ادري من اين اتوا بهذا الدثار فلم ارَ مصدراً لدثر الاَّ الدثور وهو البلى والاضمحلال

ومنها استعمالهم أهاج الشيء بمعنى اثارهُ . والمنقول عن اهل اللسان في هذا المعنى هاجهُ يهيجهُ وهاج به يهيج به اذا اثارهُ وامَّا اهاج فهي بمعنى أيبس يقال اهاجت الريح النبت يبسته

ومنها استعمالهم المفسود مكان الفاسد ولم اوَ هُ في كتب اهل اللسان ولم ينقل فسد متعدياً احدٌ من اللغويين الاثبات فان فرض ورودهُ في كلام الثقات قدّر انهُ جارٍ مجرى المشترك فانهُ اسم المفعول من اشترك فيهِ فحذفت الصلة للاختصار

ومنها التصليح والصواب الاصلاح لانهُ لم ينقل صلَّح من باب فعَّل بتثقيل العين

ومنها قولهم رضخ لمشيختهِ بمعنى انقاد والوارد في كتب اللغة ان رضخ بمعنى كسر وبمعنى اعطى واما بمعنى انقاد فلم يرد

ومنها استعمالهم عوَّد وتعوَّد ودوام متعدية بعلى وهي من الافعال المتعدية بنفسها

ومنها استعمالهم المظاهرة لما يتوصَّل بهِ الى ابداء ما في النفس من اجلال واحتقار اوسرور او اساءة والمظاهرة مصدر ظاهرهُ بمعنى عاونهُ او ظاهر بين الثوبين اذا لبس احدهما على الآخر فاستعمالها لما ذكر غير صحيح

ومنها استعمالهم الماعز بمعنى المعز والمعزى والذي في كتب اللغو بين الماعز واحد المعز كصاحب وصحب . والمعز بفتح فسكون والمعز بفتحتين ذوات الشعر من الغنم ومثلهُ المعزى فتقول اشتريت عشرة رؤوس من المعز او من المعزى ولا تقول من الماعز

ومنها استعمالهم الوساخة ولم تنقل فالصواب الرسخ

ومنها استعمالهم اغدق متعدياً يقولون اغدق الامير على فلان النعم الجسام والمنقول انهُ لازم لا متعدٍ

ومنها استعمالهم العمولة لاجرة العامل وهو خطأ والصواب العُمالة بضم اوله

ومنها انهم يجمعون الغيور جمعاً سالماً فيقولون مثلاً فلان من الوطنيين الغيورين ومثلهُ لا يجوز ان يجمع جمع السلامة بل يكسر على فُعُل بضمتين فيقال غُيُر

ومنها استعمالهم الجحيم مذكرة وهي مؤنثة

ستأتي البقية

سعيد الخوري الشرتوني